القصص الديني

الحلقة الثالثة

قصص الخلفاء الراشدين

وفاة عمر

عبد الحميد جودة السحار

١١

بسم الله الرحمن الرحيم

« ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم » .

(قرآن كريم)

١

انتصرَ المسلمون على الفُرسِ فى القادِسيَّة وفى جَلُولاَء الوقيعة ، فضاق صدرُ يَزْدَجرْدَ ملكِ الفُرسِ بالهزيمة ، وأراد أن يستردَّ ملكه من العرب ، فجمع جيشًا عظيما ، وجعل قائده الهُرْمُزان ، ودار بين جيشِ المسلمينَ وجيشِ الفرسِ بقيادة الهُرْمُزانِ قتالٌ رهيب ، فهُزِمَ الفُرس ، ووقع الهُرْمُزَانُ فى الأسر ، وأُرْسِلَ إلى عمرَ أميرِ المؤمنينَ فى المدينة .

وصل الوفدُ بالهُرْمُزانِ إلى المدينة ، فلمَّا بلغوها هيَّئوا الهُرْمزانَ فى هيئته ، فألبسوه كُسوةً من الدّيباج (الحرير) الذى فيه الذهب ، ووضعوا على رأسِهِ تاجًا مكلَّلاً بالياقوت ، وعليه حِليتُه كيما يراه

عمرُ والمسلمون . وذهب الوفدُ إلى بيتِ عمر ، فقيل لهم إنّه خرجَ ، فساروا فى طُرقات المدينةِ والنّاسُ حولَهم ، ومرّوا بغلمانٍ يلعبون ، فسألهم الغِلمان :

ـ من تريدون ؟ أميرَ المؤمنين ؟

ـ أجل .

ـ إنه نائمٌ فى ميمنةِ المسجد .

فوجدوا رجلا نائما ، متوسِّدًا بُرْنسَه ، ولا أحدَ فى المسجدِ غيرُه ، فراح الهُرْمُزانُ يدير عينيه فى المسجد ، فلا يجدُ إلا رجلاً نائما ، وفى يده دِرّةٌ معلقة ، فسأل الوفد :

ـ أين عمر ؟

فأشاروا إلى الرّجل النائم ، وقالوا :

ـ هو ذا .

فظهر العجبُ فى وجه الهُرمزان ، وقال :

ــ أين حراسُه وحجّابُه ؟

ــ ليس له حارسٌ ولا حاجبٌ ولا كاتبٌ ولا ديوان .

ــ فينبغى أن يكونَ نبيًا .

ــ بل يعملُ عملَ الأنبياء .

وحدثت جَلَبة ، وارتفعتْ أصواتُ النّاس ، فاستيقظَ عمرُ وفتح عينيه ، فوقع بصرُه على رجل فى ملابسَ فاخرة ، وعلى رأسِه تاجٌ يتلألأ ، فاستوَى جالسًا وسأل من حوله :

ــ الهُرْمُزان ؟

قالوا :

ــ نعم .

فأخذ عمرُ يتأمّلهُ ويتأمّلُ ما عليه ، ثم قال :

ـ أعوذُ باللّه من النّاس ، وأستعين اللّه ، الحمدُ للّه الذى أذلَّ بالإسلام هذا وأشياعَه .

ثم التفتَ إلى النّاسِ وقال :

ـ يا معشر المسلمين ، تمسّكوا بهـذا الديـن ، واهتَدوا بهدى نبيِّكم ، ولا تُبْطِرَنّكـم الدُّنيا ، فإنها غرّارة .

فقال له الوفد :

ـ هذا ملِكُ الأهواز فكلِّمه .

فقال عمرُ وهو يُشيحُ عنه بوجهِهِ :

ـ لا ، حتى لا يبقى عليه من حِليتِهِ شىء .

فجرَّدوه من ثيابه إلا ما يستُرُه ، ثم ألبسوه ثوبًا خشِنا ، وقال له عمر :

ـ ما عذرُك وما حُجتُك فى انتقاضِكَ مرَّةً بعد مرَّة ؟

ـ أخافُ أن تقتلَنى قبلَ أن أُخبرَك .

ـ لا تخفْ ذلك .

ـ أريدُ أن أشرب .

فأُتِيَ بماء فى إناء ، فتناولَه ، وجعلتْ يدُه ترتجف ، ثم التفتَ إلى عمرَ ، وقال :

ـ أخافُ أن أُقتلَ وأنا أشربُ الماء .

ـ لا بأسَ عليك حتى تشرَبه .

فألقَى الهُرْمُزانُ بالماءِ ولم يشربْه ، فقال عمر :

ـ أعيدوا عليـه (أى أعطُوهُ يشـربُ مـرَّةً ثانيـة) ولا تجمعوا عليه القتلَ والعطش .

فقال الهُرْمُزان :

ـ لا حاجةَ لى فى الماء ، إنَّما أردتُ أن أستأمنَ به .

فقال عمر :

ـ إنى قاتلُك .

ـ قد أمَّنتنى .

ـ كذبتَ .

فقال النّاس .

ـ صدق يا أميرَ المؤمنين قد أمَّنته ، قلتَ له : لا بأسَ عليك حتى تشربه .

فأطرقَ عمرُ قليلا ، ثم رفعَ رأسَه ، والتفتَ إلى الهُرْمُزانِ ، وقال : واللّه لا أنخدِعُ إلا لُمسلم .

فأسلَمَ الهُرْمُزانُ ، وأنزلَه عمرُ المدينة .

٢

لم يكنِ الهُرْمُزانُ صادقـا فـى إسلامِه ، فقـد أسـلمَ لِيُنقذَ نفسَه ، وكان يحقِد على عمر ، لأنّـه هزمَهـم ، لذلك كان يدبِّرُ قتلَه ، وفى ذات ليلةٍ دخل الهُرْمُزان وأبو لؤلؤةَ غلامُ المغيرةِ بـن شُـعبة ورجـلٌ ثـالثٌ إلى مكان هادئ وراحوا يَتشاوَرون ، ثـم وضعوا بينهـم خَنجرًا له رأْسان ومَقبضه فى وسطِه ، واتَّفقـوا على أن يقتلَ أبو لؤلؤةَ عمر .

وخرج عمرُ يطوفُ فى السُّوق فلقِيَه أبو لؤلؤة ، وكان غلاما للمُغيرة ، وقد فرض عليه المغيرةُ دِرْهَمَـين كلَّ يوم ، لأنَّه كان صانعًا ماهرًا . قال أبو لؤلؤة :

ــ يا أَميرَ المؤمنين ، إن علىَّ خراجا كثيرًا .

ــ وكم خراجُك ؟

ـ دِرهما في كل يوم .

ـ وأيش صناعتُك ؟

ـ نجارٌ نقّاشٌ حدَّاد .

ـ فما أرى خراجَك بكثير على ما تصنعُ من الأعمال ؛ بلغني أنك تقولُ لو أردتُ أن أعملَ رحًى تطحن بالريح فعلت .

ـ نعم .

ـ فاعملْ لي رحًى .

ـ لئن سلمتُ لأعملنَّ لك رحًى يتحدَّثُ بها مَن بالَمشرقِ والَمغرب .

وانصرف أبو لؤلؤة ، وفكَّر عمرُ فيما قال ، فَغَمْغَم :

ـ لقد توعَّدني العبد .

وراح عمرُ يصرِّفُ أمورَ المسلمين ، ومرَّت أيامٌ نَسِيَ عمرُ بعدَها حديثَ أبى لؤلؤة ، وارتفع صوتُ المؤذِّن يدعو النّاس لصلاةِ الصبح ، فخرج عمرُ من دارِه ، وذهب إلى المسجد ، وتقدَّم الصُّفوف ، فخرج أبو لؤلؤةَ من بينِ الصُّفوف ، وطعن عمرَ ثلاثَ طعنَات ، فصاح عمر :

ــ دونَكم الكلب ، فإنَّه قد قتلنى .

وماج الناس ، وخرج رجالٌ وصاح بعضُهم ببعض : « دونكم الكلب » . فشدَّ على أبى لؤلؤةَ رجلٌ من خلفِه ، فاحتضنَه وقبضَ عليه ، وقال قائل :

ــ الصلاةَ عبادَ اللّه ، طلعتِ الشَّمس .

فقال عمر :

ــ أفى الناس عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عوف ؟

ــ نعم يا أميرَ المؤمنين ، هو ذا .

ــ تقدَّم .

فصلَّى عبدُ الرحمن بأقصرِ سورتينِ فى القرآن ، ثم أسرعَ الناسُ إلى عمر ، فقال :

ـ يا بنَ عباس ، اخرج فنادِ فى الناس : أعن ملاء[١] ورضًى منهم كان هذا ؟ (أى هل اتَّفقوا على قتلِه ورضُوا عن ذلك ؟)

فخرج ابنُ عباس فنادى ، فقالوا :

ـ مَعاذَ اللّه ، ما علمنا .

واحتُمل عمر ، فأُدخل إلى داره ، ودخل عليُّ بنُ أبى طالبٍ عليه ، فقال له عمر :

ـ يا عليّ ، أعن ملاء منكم ورضًى كان هذا ؟

فقال علي :

ـ ما كان عن ملاء منا ولا رضًى ، ولوَدِدْنا أنَّ اللّهَ زاد من أعمارِنا فى عمرِك .

وكان رأسُ عمرَ فى حجْرِ ابنه عبدِ اللّه ، فقال له :

---

(١) ملاء : مساعدة على الأمر .

ـ ضعْ خدّى بالأرض .

فلم يفعلْ ، فلحظَه وقال :

ـ ضعْ خدّى بالأرض ، لا أمَّ لك .

فوضعَ خدَّه بالأرض ، فقال :

ـ الويلُ لعمرَ ولأمِّ عُمَر ، إنْ لم يغفِرِ اللّهُ لعمر .

ودخلَ المهاجرونَ على عمرَ فقالوا :

ـ استخلِفْ علينا .

ـ واللّه لا أحمِلُكم حيًّا وميِّتا ، إن استخلفتُ فقد استخلف من هو خيرٌ منى ، وإن أَدَعْ فقد تركَ من هو خيرٌ منِّى . (يقصِدُ النبيَّ وأبا بكر) .

ونزفَ دمُه ، فالتفتَ إليه من عندَه وقالوا له :

ـ يا أميرَ المؤمنين لو دعوتَ الطَّبيب .

ـ افعلوا .

فأرسلوا فى طلبِ الطبيب ، فجاء فسقاهُ نبيذا ، فخرج النبيذُ مشكَّلا ، فقال :

ـ اسقوه لبنا .

فسقَوْه لبنا ، فخرج اللَّبن أبيـض ، وبـان الضعفُ فى عمر ، فقال لابنه :

ـ اذهـبْ إلى عائشـة ، وأقرئهـا منّـى السَّـلام ، واستأذنها أن أُقبَر فى بيتِها مع رسولِ اللّـه ، ومع أَبى بكر .

فذهب إليهـا عبدُ اللّـهِ بـنُ عمـر ، فأعلَمهـا ، فقالت :

ـ نعم وكَرامة ، يـابنىَّ أبلغْ عمَر سلامى ، وقلْ له : لا تَدَعْ أمَّـةَ محمَّـدٍ بـلا راع ، استخلِفْ عليهـم ولا تدعْهم بعدَك هَملا ، فإنِّى أخشى عليهم الفتنة .

فأتى عبدُ اللّه فأعلَمه ، فقال :

ـ ومـن تـأمُرنى أن أَستخلِف ، لـو أدركـت أَبـا عبيدةَ بنَ الجرَّاح باقيًا استخلفتُه وولَّيتُه ، فإذا قدِمتُ على ربّى فسـألنى وقـال لى : من وليَّـتَ على أُمَّـةِ

محمَّد ؟ قلتُ إيْ ربّ ، سمِعتُ عبدَك ونبيَّك يقول : لكلِّ أُمَّـةٍ أمين ، وأَمينُ هـذه الأُمَّةِ أَبو عبيـدة ابنُ الجرَّاح ، ولكنى سأستخلِف النفرَ الذين تُوفِّى رَسولُ الله وهو عنهم راض .

واختار عمرُ عليًّا وعثمانَ والزُّبيْرَ وسعدَ بنَ أَبى وقّاصٍ وطَلْحةَ وعبدَ الرحمن ، وقال لهم :

ـ إذا مِتُّ فتشاوروا ثلاثةَ أيَّام ، وليُصلِّ بالناس صُهَيْب ، فإنَّه رجلٌ من الموالى لا يُنـازِعُكم أمركـم ، ولا يأتينَّ اليومُ الرّابعُ إلاّ وعليكُم أميرٌ منكم .

واشتدَّ بـه الوجع ، ودبَّ فيه الضعف ، فـراحَ يُتمتمُ مُستغفِرًا ربَّه ، ثم شخَص ببصره ، وفاضتْ روحُه صاعدةً إلى السَّماء ، راضِيةً مرْضِيَّة .

وجُهِّز عمر ، وتقدم الخمسة : علـىٌّ وعثمـانُ وسعدٌ والزُّبيرُ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوْفٍ وحملوه ونزلـوا

به القَبر ، ثم خرجوا من القبر ، وأخذَ عليٌّ ينفُض رأسَه ولِحيتَه ، ثم قال :

ـ رحِم اللّه ابنَ الخطّاب ، لقد ذهبَ بخيرِها ، ونجا من شرِّها .